المحاضرة السادسة

الفاطميون بالمغرب

التاريخ السياسي للفاطميين :

كان اليمن مركزا للدعوة الشيعية التي لم تستطع تكوين كيان سياسي لها في المشرق الإسلامي فتوجهت أنظارهم تلقاء المغرب وقد مرت الدعوة بمرحلتين (مرحلة الإعداد ثم الصدام المسلح) ففي مرحلة الإعداد أرسل ابن حوشب الدعاة إلى بلاد المغرب لبعدها عن مركز الخلافة وتذمر البربر من سياسة الولاة العباسيين ومن حكم بعدهم ثم أرسل الإمام جعفر الصادق إلى المغرب داعيتان هما أبو سفيان والحلواني وقال لهما ((إن المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب البذر)) [1] فحطّا رحالهما بالمغرب (ارض كتامة) وبدأت الدعوة الشيعية في الانتشار وبعد وفاة الداعيتين استخلفهما أبو عبد الله الشيعي الذي خرج من مكة رفقة حجاج من كتامة إلى ارض المغرب ووصل إلى المغرب سنة 280 هـ فحدّث الناس عن ظهور المهدي واستخدم السحر والطلاسم وغيرها ، ودخلت كتامة وجموع من البربر طاعته مثل عجيسة وزواوة فقوي أمره واستفحل خطره واستقر بمدينة ايكجان (دار الهجرة) في بني عزيز حاليا التابعة لولاية سطيف[2] .

في سنة 289 هـ بدا الشيعي في صدامه العسكري مع دولة الأغالبة فزحف على طبنة ثم هزم الأغالبة في معركة كينونة الحاسمة سنة 292 هـ ، واستولى على مناطق مثل سطيف وطبنة وباغاية (من قرى الأوراس) وتبسة وقرطاجنة والقصرين وقسنطينة (295هـ) وفي سنة 296 هـ سقطت الأربس ، ثم دخل أبو عبد الله الشيعي

---

[1] تقي الدين المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال، ط 2 ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 ، ص 41 ؛ أما ابن الأثير فأورد الرواية على الشكل التالي ((إن المغرب ارض بور فاذهبا فاحرصا حتى يجيء صاحب البذر)) ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 450 .

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 594 – 597.

مدينة رقادة في رجب 296 هـ والقيروان وانهار حكم بني الأغلب وفر زيادة الله إلى مصر.[3]

لما استفحل أمر الفاطميين قدِم عبيد الله المهدي إلى المغرب [4] فسجنه اليسع بن مدرار فسمع بذلك أبو عبد الله الشيعي فسار إلى سجلماسة واستولى على تاهرت في طريقه ثم دخل سجلماسة وحرّر زعيمه عبيد الله المهدي وولده أبو القاسم وأقاموا هناك أربعين يوما ثم رحلوا إلى القيروان فوصلوها سنة 297 هـ وبايع أهلها عبيد الله المهدي بالبيعة العامة وتلقّب بالمهدي أمير المؤمنين وضُربت السكة باسمه [5] ، ثم تخلص عبيد الله المهدي [6] من داعيته أبي عبد الله الشيعي وكلف عروبة بن يوسف وأخاه حباسة بترصده وقتله ولما أجهز عليه قال له أبو عبد الله الشيعي لا تفعل يا ولدي فقال عروبة "أمرني بقتلك من أمرتني بطاعته وانخلعت له من الملك بعد توطئته " .

ثار أهل طرابلس من الاباضية سنة 300 هـ وأخمدت ثورتهم ، ثم أسس عبيد الله المهدي مدينة المهدية (301 هـ) ، [7] وتم اختطاط مدينة المسيلة وعهد إلى علي بن حمدون بناؤها وتحصينها وسميت بالمحمدية [8] وقتئذ.

توفي عبيد الله المهدي سنة 322 هـ [9] فخلفه ابنه القائم الذي ثار ضده البربر مثل ثورة ابن طالوت بنواحي طرابلس لكنه فشل وقتل ، وثورة احمد بن بكر بن

---

[3] عن تفاصيل الدولة العبيدية في مرحلتها المغربية انظر: موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1979 .

[4] عن تفاصيل رحلة عبيد الله المهدي من المشرق الى سجنه بسجلماسة . انظر: تقي الدين المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج 1 ، ص ص 60 – 62 .

[5] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 598 – 600 .

[6] للاستزادة حول نسب عبيد الله المهدي واهم أعماله انظر: ابن حماد الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق : التهامي نقرة و عبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ، د . ت ، ص 35 وما بعدها .

[7] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص ص 601 – 604 .

[8] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ ، ص 151 .

أبي سهل الجذامي في فاس لكن جيوش الفاطميين أسَرته سنة 323 هـ ، غير أن اكبر ثورة زلزلت عرش الفاطميين هي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الملقب بصاحب الحمار.

ولد أبو يزيد [10] بالسودان من جارية هوارية ونشا بتوزر ثم احتك بالنكارية أتباع ابن فندين وكان يُعلّم الصبيان القرآن في تاهرت وكفّر الشيعة واستباح أموالهم ودمائهم ورحل إلى الأوراس وتبعته أمم من البربر وتلقّب بشيخ المؤمنين وجاهر بعدائه للفاطميين سنة 332 هـ ودخل افريقية ففر القائم [11] إلى المهدية ، وحاصرت جيوش أبي يزيد باغاية 333 هـ ثم فتح تبسة ومجانة واستولى على مرماجنة فأهداه رجل منها حمارا أشهبا فلقب بصاحب الحمار ثم استولى على الأربس ثم استولى على سبيبة ثم باجة فقتل أطفالها وسبى نسائها ثم دخل تونس فالقيروان غير انه هذه المرة انهزمت جيوش أبي يزيد أمام جيوش الفاطميين بقيادة بشرى فاغتاظ أبو يزيد واستولى على رقادة وعاث فيها فسادا 333هـ ثم استولى على سوسة وتوجه إلى معقل الفاطميين بالمهدية ، عندها استنجد القائم بزيري بن مناد الصنهاجي الذي رجّح الكفة لصالح الفاطميين وبدأت الهزائم تلاحق أبا يزيد وفشل في اقتحام المهدية عدة مرات ومات كثير من جيشه ، ولما طال الحصار على المهدية أكل أهلها الدواب والميتة .

توفي القائم بالله وخلفه ابنه أبو الطاهر إسماعيل الملقب بالمنصور [12] سنة 334 هـ ، وأبو يزيد لا يزال يحاصر سوسة فانهزم صاحب الحمار وفر إلى القيروان فمنعه أهلها من دخولها ، ولحقه المنصور وتبادل الفريقان النصر والهزيمة حتى حلت سنة 335 هـ حيث انتصر المنصور نصرا ساحقا في شهر محرم وقتل عشرة آلاف من أتباع أبي يزيد وتعرف هذه المعركة بواقعة يوم الجمعة ففر أبو يزيد إلى باغاية ثم المسيلة ثم بلاد السودان ثم جبال كتامة وعجيسة حيث انهزم هناك وهو مُثخن

---

[9] المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج 1 ، ص 73 .

[10] عن أخبار أبي يزيد وحروبه ضد الفاطميين انظر : ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 216 وما بعدها .

[11] عن خلافة القائم انظر : ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 53 وما بعدها .

[12] عن أخبار المنصور انظر : ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 59 وما بعدها .

بالجراح في سنة 336 هـ فأمر المنصور بسلخ جلده وحشوه تبنا واحتفل المنصور بنصره ببناء مدينة صبرة المعروفة بالمنصورية (بجوار القيروان) سنة 337 هـ ثم سكنها وعمرها [13].

ينقل لنا ابن حماد الصنهاجي بعض أخبار المنصور وبنائه لمدينة المنصورية بقوله : ((هو أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم ، وُلد بالمهدية سنة 299 وقيل 302 ، ووُلّي وله اثنان وثلاثون سنة ، ولم يكن في بني عبيد مثله وكان بطلا شجاعا بليغا فصيحا ... وفي سنة 334 بنى صبرة وهي مدينة بناها بقربها سماها باسمه المنصورية ، فاستمر عليها الاسمان إلى الآن ، وصبرة أشهر وكانت دار ملكهم وملك من بعدهم ، إلى أن أتى عليها الزمان ... وجعل لها أربعة أبواب ، باب قبلي وباب شرقي سماه زويلة وباب جوفي سماه باب كتامة وباب غربي سماه باب الفتوح ، ومنها كان يخرج للحروب ونصب عليها أبوبا ملبسة بالحديد)) [14] .

في سنة 341 تولى الحكم المعز لدين الله الفاطمي الذي أرسل جوهر الصقلي ومعه جعفر بن على صاحب المسيلة وزيري بن مناد (الذي بنى أشير سنة 324 هـ) لإعادة المغرب الأقصى إلى سلطان الفاطميين سنة 348 هـ ثم غزا جوهر الصقلي مصر سنة 358 هـ فدخل الإسكندرية ثم الفسطاط وهزم الإخشيديين في شعبان 358 هـ واختط القاهرة وشرع في بناء الأزهر [15]. ثم انتقل الفاطميون إلى مصر.

التاريخ الحضاري للفاطميين بالمغرب :

لقد مكثت السلطة الفاطمية في المغرب أكثر من ستة عقود لتنتقل إلى مصر ، وقد أولت عناية بالغة للجيش الذي كان يتألف (بربر وصقالبة وزويليين وعرب) من البربر الكتاميين الذين كان لهم دور في التمكين للحكم الفاطمي بالمغرب كما شكل الصقالبة (عبيد وأرِقّاء خاصة الأطفال تم جلبهم من بلاد الفرنجة أو حوض الدانوب أو بلاد اللونبارد ومختلف ثغور البحر المتوسط) عنصرا فاعلا في الجيش الفاطمي وكان من بينهم جوهر الصقلي وهناك كذلك جماعة الزويليين (سوق

---

[13] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 621 - 631 .

[14] ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 59 – 61 .

[15] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 632 وما بعدها .

العبيد السود في زويلة) الذين كان لهم فيلقا خاصا في الجيش الفاطمي وخاصة في محاربة الثائر أبا يزيد ، إضافة إلى العناصر العربية الباقية من جيوش الأغالبة وقد كانوا يمثلون أقلية في الجيش الفاطمي ، ناهيك عن الجيش البحري الفاطمي .[16]

أما عن الحياة المذهبية فكان هناك سجال بين المذهب الإسماعيلي الدخيل والمذهب السني المتأصل في المغرب ومن أشهر الفقهاء الفاطميين الذين تولوا القضاء ونظّروا للسلطة الفاطمية القاضي النعمان [17] وكان هناك منصب قاضي القضاة وهناك قضاة الأقاليم ، ويوجد قضاء رد المظالم للنظر في مختلف التجاوزات .[18]

ومن أشهر مخلفات الفاطميين بالمغرب قلعة ايكجان التي سموها دار الهجرة كما تم في عهد الفاطميين بناء مدينة المسيلة (المحمدية 313 هـ)[19] التي أمر ببنائها أبو القاسم إسماعيل وكان متولي البناء علي بن حمدون بن سماك . ومن المخلفات الفاطمية مدينة تازورت (تتبع حاليا لبلدية عين الملوك دائرة تاجنانت) حيث بنيت بها قصور ومساكن وسور [20] ، كما تعتبر مدينة المهدية من أشهر مخلفات الفاطميين بالمغرب إذ اتخذوها عاصمة لهم ، وقد بناها عبيد الله المهدي ونسبها إلى

---

[16] فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب - 296 – 365 هـ التاريخ السياسي والمؤسسات - ، تحقيق : حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ص 537 وما بعدها .

[17] له كتاب افتتاح الدعوة وكتاب المجالس والمسايرات

[18] فرحات الدشراوي : المرجع السابق ، ص 583 وما بعدها .

[19] عن تفاصيل بناء مدينة مسيلة انظر مؤلف مجهول (حي سنة 587 هـ / 1191 م) :الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، ط 2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص ص 171 – 172 ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج 5 ، ص 130 ؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1957 ، ص 558 ؛ أبو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت ، ص 59 .

[20] لعرابة نوال : أثار الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط من خلال المواقع الأثرية ، رسالة ماجستير في الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، 2014 / 2015 ، ص ص 44 – 47 .

نفسه وكان بداية بنائها سنة 300 هـ حسب الحميري صاحب الروض المعطار والحموي صاحب المعجم [21].

[21] الحميري : الروض المعطار ، ص 561 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 231 .